

دلائل الإعجاز

فذكر الخمسَ التي هي عددُ أناملِ اليدِ فبانَ من مجموعِ هذه الأمورِ غرضُهُ .
وأنشدوا لبعضِ العربِ - الرجز - : .

(فَإِنَّ تَعَاوُوا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ ... فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانًا) .
يريدُ أنَّ في أيماننا سيوفاً نضربُكمُ بها . ولولا قولُهُ أوَّلاً : " فَإِنَّ تَعَاوُوا
الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ " وَأَنَّ في ذلكِ دلالةً على أن جوابَهُ أنهم يُحَارِبُونَ وَيُقَسِّرُونَ
على الطاعةِ بالسيفِ ثم قولُهُ : فَإِنَّ في أيماننا لَمَّا عَقِلَ مرادُهُ ولما جازَ أن
يستعيرَ النيرانَ للسيوفِ لأنه كان لا يُعَقِّلُ الذي يريدُ لأنا وإن كنَّا نقولُ : " في
أيديهم سيوفٌ تلمعُ كأنها شُعَلٌ نارٍ " كما قال - الكامل - : .
(نَاهَضَتْهُمُ وَالْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا ... شُعَلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّبُ) .
فإنَّ هذا التشبيهَ لا يبلغُ ما يُعَرِّفُ مَعَ الإِطْلَاقِ كمعرفتنا إذا قال : " رأيتُ
أسداً " أنه يريدُ الشجاعةَ . وإذا قال : " لقيتُ شمساً وبدراً " أنه يريدُ الحُسْنَ
ولا يقوى تلكِ القوَّةُ فاعرفهُ .

ومما طريقِ المجازِ فيه الحكمُ قولُ الخنساءِ - البسيط - : .
(تَرَوُتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ ... فَإِنَّهَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ) .
وذاك أنها لم تُرَدِّ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ غَيْرَ مَعْنَاهُمَا فَتَكُونُ قَدْ تَجَوَّزَتْ فِي نَفْسِ
الْكَلِمَةِ . وَإِنَّمَا تَجَوَّزَتْ فِي أَنْ جَعَلْتَهَا لِكثْرَةِ مَا تَقْبِلُ وَتُدْبِرُ وَلِغَلْبَةِ ذَاكَ عَلَيْهَا
وَإِتِّصَالِهِ بِهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا حَالٌ غَيْرُهُمَا كَأَنَّهَا قَدْ تَجَسَّسَتْ مِنْ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ .
وَإِنَّهَا كَانَتْ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ قَدْ اسْتَعَارَتْ الْإِقْبَالَ
وَالْإِدْبَارَ لِمَعْنَى غَيْرِ مَعْنَاهُمَا الَّذِي وُضِعَ لَهُ فِي اللُّغَةِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَيْسَ الْاسْتِعَارَةُ مِمَّا
أَرَادَتْهُ فِي شَيْءٍ